

قراءة في منهج المؤرخ يحيى بوعزيز في تحقيق المخطوط التاريخي الجزائري "طلوع سعد السعود" للآغا بن عودة المازري نموذجاً

د. بغداد عبد الرحمن

المركز الجامعي بمغنية

abderrahmane-beghdad@hotmail.com

ملخص

تُسلط هذه الورقة البحثية الضوء على أحد أعلامنا المتميزين في خدمة التراث الجزائري المخطوط، من جمع وتحقيق ونشر وفهرسة. إنه مؤرخ الجزائر الكبير "يحيى بوعزيز"، الذي كان له من الآثار الشيء الكثير في تحقيق الكتب المخطوطة، وإخراجها من طور المخطوطات إلى حيز التداول، ومن ذلك تحقيقه لكتاب "طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19م للآغا بن عودة المازري" الذي نحن بصدد دراسته بالوقوف عند منهج بوعزيز في التحقيق. وتُقدِّم الدراسة في ثلاثة مباحث بعد مدخل عام للموضوع، تناول المبحث الأول حياة المحقق، في حين تضمن المبحث الثاني وصف المخطوط ودراسته، على أن المبحث الثالث كان في منهج يحيى بوعزيز في تحقيق نص المخطوط.

الكلمات المفتاحية: التراث - المخطوط - التحقيق - المنهج - طلوع سعد السعود - يحيى بوعزيز

Abstract

This paper highlights one of our outstanding flags in the service of the Algerian manuscript heritage, from collection, investigation, publication and cataloging. He is a historian of the great Algeria "Yahya Bouaziz", which had a lot of effects in the achievement of manuscript books, and to get it out of the manuscript phase into circulation, including the book "The rise of Saad Saud in the news of Oran, Algeria, Spain and France to the late 19th century to the Aga Ben Odah Mazari", which we are studying to stand at the approach of Bouaziz in the investigation.

The study deals with three topics after the general introduction of the subject. The first topic dealt with the life of the investigator, while the second topic included the description

and study of the manuscript. The third topic was in the curriculum of Yahya Bouaziz in achieving the text of the manuscript.

Keywords: Heritage -Manuscript -Investigation -Methodology -Saad Saad Al-Saud -Yahia Bouaziz

1. إسهامات يحيى بوعزيز في تحقيق المخطوطات الجزائرية:

رب قائلٌ تتبادر إلى ذهنه التساؤلات التالية:

* ما الغاية من تحقيق المخطوط؟

* وما هي صلاحيات المحقق في تحقيق هذا المخطوط؟

* وهل أن غاية المحقق نشر النص كما وضعه مؤلفه؟ أم أن الغاية أبعد من ذلك: تصحيح النص،

وتوضيحه، والتعليق عليه، ومن ثم فهرسته؟

وفي الحقيقة هذه التساؤلات أثارت اختلافاً كبيراً بين المحققين والمختصين في هذا المجال، حيث ظهر

اتجاهان متباينان في تحقيق النص:

فالاتجاه الأول يميل إلى إخراج النص مُتَقَنَّاً، خالياً من كل تعليق وتخرّيج، وحجتهم في ذلك أن الهدف

من التحقيق هو الحصول على النص الصحيح، وليس من حاجةٍ إلى إثقالِ النص بالهوامش والتعليقات. وفي هذا

المنحى يذهب **مصطفى جواد** إلى القول بأن عملية التحقيق هي: "الاجتهاد في جعل النصوص المحققة مطابقة

لتحقيقها في النشر، كما وضعها صاحبها ومؤلفها من حيث الخط واللفظ والمعنى" ¹. في حين يجعل **عبد السلام**

هارون الكتاب المحقق: "هو الذي صَحَّ عنوانه، واسم مؤلفه، ونسبة الكتاب إليه، وكان مَتْنُهُ أقرب ما يكون على

الصورة التي نركها

مؤلفها" ². أما أصحاب الاتجاه الثاني فيذهبون إلى ضرورة الكشف عن غوامض النص ومبهماتهِ، والتعريف

بشواهده وأعلامه، وشرح ما يحتاج إلى شرح وتفسيرٍ، لأن القراء ليسوا على مستوى واحدٍ في العلم والثقافة، بل

وإن قدراتهم الذهنية تتفاوت، فمن الأولى تذليل النص بشرحه وتخرجه والتعريف بأعلامه. ويعتبر التونجي أن العملية أكثر أهمية من ذلك، حيث لإثبات صحة النص وعنوانه لمؤلفه يجب "السهر على النص سهرًا كليًا، لثبيت كل ما في النص من كلامٍ، وشاهدٍ وأعلامٍ، مع العناية الدقيقة بضبط الكلمات التي تحمل أكثر من قراءة. فهو إذن عملية إحياء نص قديم، وعرضه

عرضاً علمياً دقيقاً، وهذا هو الأصل، لأن النص أمانة مقدسة في رقة مَنْ يتعهد إخراج النص من مكانه"³. ومهما يكن من أمرٍ، فإن على المحقق قبل البدء في عملية التحقيق، اتباع أساليب محددة للتحقق من صحة مخطوطه، ومنها:

أ- يطلع على المؤلفات التي تدله وتعلمه كيفية تحقيق المخطوطات ومن ثم على الأساليب والقواعد العلمية المتبعة في هذا المجال.

ب- يطلع على المخطوطات التي سبق أن حققها سواه من الأساتذة والدارسين حتى يستفيد من عملياً وتطبيقاً من أساليبهم في تحقيق المخطوطات.

ج- يطلع على أخبار التراث العربي وبيبليوغرافيات المخطوطات العربية، حتى يتجنب مثلاً تحقيق مخطوط سبق أن حُفِّفَ ونُشِرَ.⁴

أما عن الصفات الواجب توفرها فيه نذكر منها:

أ- الالتزام والرغبة بتحقيق المخطوط الذي ينوي القيام بتحقيقه بهدف إحياء التراث ونشره

والاستفادة منه، وأنَّ عدم الرغبة وعدم الاقتناع، لن يؤدي إلى تحقيقٍ دقيقٍ بل على تحقيقٍ هامشيٍّ.

ب- دقة الملاحظة وامتلاك علوم أخرى وسعة المعارف التي تؤدي إلى تحقيق متكاملٍ، مع امتلاك ملكة النقد.

ج- الاطلاع على أعمال المحققين السابقين للاستفادة من تجاربهم، وأساليبهم العلمية في عملية التحقيق، والسؤال

عن الأمور الغامضة التي تحتاج إلى توضيحٍ أو تفسيرٍ.

د- الصبر والأمانة، فهما صفتان لازمتنا للمحقق على غرار بقية الصفات. فمن المعروف أن التحقيق يحتاج إلى جهدٍ علميٍّ متواصلٍ، وإلى وقتٍ طويلٍ، وإلى بحثٍ وتنقيبٍ وجمعٍ للمعلومات.

هـ- اقتناع المحقق بضرورة الاطلاع على مصادر متنوعة وعلومٍ ومعارفٍ في موضوع التحقيق وفي غيرها من الموضوعات المساعدة على التحقيق⁵.

وقد ساهم المؤرخون الجزائريون بشكلٍ فعالٍ في تحقيق المخطوط التاريخي الجزائري، حيث قام بعض الطلبة الجامعيين في إطار الدراسات ما بعد التدرج بتحقيق عدد من المخطوطات كموضوع لدراساتهم وأطروحاتهم، ومن بينها:

أ- مخطوط " التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية " لمؤلفه " عبد الله محمد بن ميمون الزواوي الجزائري " المتوفى بعد سنة 1708، وحققه الأستاذ " محمد بن عبد الكريم الزموري الجزائري " المتوفى سنة 2012 لنيل دبلوم الدراسات المعمقة سنة 1969. (يتناول الكتاب سيرة الداي محمد بكداش إبان توليه الحكم على مدينة وهران التي فتحها، كما يعد الكتاب وثيقة تاريخية حيث قدم لنا استعدادات الجيوش، وتفاصيل المعارك والهجمات على المدينة).

ب- مخطوط " سير مشايخ المغرب " لمؤلفه " سليمان بن عبد السلام بن حسان بن عبد الله الوسياني "، الذي حققه المؤرخ والمترجم " إسماعيل العربي " المتوفى سنة 1997، وأعاد تحقيقه الباحث " عمر بن لقمان " سنة 2007 لنيل على شهادة الدكتوراه. (يعتبر الكتاب من مصادر تراث الإباضية حيث يتضمن تراجم أعلام الإباضية، ويرسم أحوال المجتمع الإباضي).

ج- مخطوط " عجائب الأسفار ولطائف الأخبار " لمؤلفه " محمد أبي رأس الناصري المعسكري " المتوفى سنة 1823، من تحقيق " محمد بوركة " لنيل أطروحة الدكتوراه من جامعة وهران في 2008.

أما عن التحقيق خارج الإطار الأكاديمي، فقد ساهم عدد من المؤرخين والباحثين الجزائريين في تحقيق جملة من المخطوطات يتعلق مضمونها في الغالب بالتاريخ، وتريخ العالم الإسلامي عامة. ولعل من المحققين السابقين في تحقيق المخطوطات ونشرها قبل الاستقلال "محمد بن أبي شنب" المتوفى سنة 1929، رائد الباحثين الجزائريين في مجال تحقيق ونشر التراث والمخطوط التاريخي، حيث حقق ونشر أعمالاً عديدة نذكر منها على سبيل التمثيل: كتاب "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان" لمؤلفه "عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف التلمساني". وكتاب "عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" لمؤلفه "أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني البجائي" المتوفى سنة 1304م. وكتاب "طبقات علماء إفريقيا وتونس" لمؤلفه "محمد بن أحمد بن تميم بن تمام القيرواني".

ويعد الدكتور يحيى بوعزيز رحمة الله عليه من أكثر المؤرخين الجزائريين المعاصرين تأليفاً، حيث تزيد أعماله المطبوعة عن ثمانية وعشرين مؤلفاً مطبوعاً، منها: الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري - الموجز في تاريخ الجزائر - تاريخ العالم الحديث من فجر الصناعة على الحرب العالمية الثانية - علاقات الجزائر الخارجية 1500-1830 - وهران عبر التاريخ ... إلخ. أما حظ التحقيق من الرجل، فهو غزير أيضاً، لاسيما تحقيق التراث الجزائري المخطوط، ونذكر منها: "روضة النسر في التعريف بالأشياء الربعة المتأخرين" للشيخ "محمد بن صعد الأنصاري التلمساني" المتوفى سنة 1496م، وكتابه "طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19م لمؤلفه "أبو إسماعيل بن عودة بن الحاج المزاري المتوفى سنة 1897م. وهو الكتاب الذي سنحاول في هذه المدخلة التعريف به والوقوف عند منهج يحيى بوعزيز في تحقيقه.

2. منهج يحيى بوعزيز في كتاب "طلوع سعد السعود":

جاء الكتاب في جزأين، الأول به أربعمئة وخمس صفحات (405)، والثاني به أربعمئة وسبع وعشرين صفحة (427)، طبع بدار الغرب الإسلامي ببيروت طبعاً أولى سنة 1990.

إن العنوان الحقيقي لهذا الكتاب هو "طلوع سعد السعود في تاريخ وهران ومخزنها الأسود"⁶، والمحقق هو الذي أدخل عليه هذا التعديل حتى يتجاوب مع مضمونه، الذي يذكر عنه المحقق ما يلي: "فقد توسع مؤلفه الآغا إسماعيل بن عودة المزاري في التأريخ لمدينة وهران، والجزائر، والغرب الوهراني، وإسبانيا، وفرنسا، والأتراك العثمانيين، من غابر العصور إلى عهده عام 1890"⁷. وقد ظهر هذا التحوير الجزئي على عنوان المخطوط على ظهر الغلاف الخارجي

فقط، أما في الداخل فقد أبقى على العنوان الأصلي⁸.

ثم يعرض لنا المحقق مجموعة من التوضيحات تخص المخطوط، وكيف تم العثور عليه من قبل الباحث، والصعوبات التي واجهته من قبل مسؤول متحف زبانا من أجل تصويره، رغم حصوله على إذن بذلك من قبل وزارة الثقافة والسياحة، ثم الشروع في نسخه باليد، وبعد ذلك كتابته بالآلة الرقنة، مع العمل على تبويبه وفهرسته وتصحيحه، وما تطلب منه ذلك من جهدٍ ووقتٍ⁹.

وإيماناً منه بإخراج الكتاب في أحسن صوره، نبّه يحيى بوعزيز إلى الأمور التالية¹⁰:

1. الأخطاء الكثيرة اللغوية والنحوية والإنشائية الواردة في المخطوط التي نبّه عليها في الهوامش.
2. كثرة أسماء الأعلام غير العربية، مما تطلب من المحقق إعادة كتابتها بالحروف اللاتينية قبالة كتابتها بالعربية تفادياً للأخطاء في قراءتها (مثل قوله: هرنادة = Hernando)¹¹.
3. كما اضطر المحقق إلى وضع عناوين فرعية، تسهياً لاستغلال الكتاب من قبل الباحثين كوضعه عنوان: الدول الأولى مغراوة¹²، وقائمة الخلفاء الأمويين¹³، وأصل الإسبان¹⁴، كما قسم المخطوط إلى جزأين، لطوله وكبر حجمه.

4. أجهد نفسه في وضع ترجمة للمؤلف، بسبب حصوله إلا على شذرات من سيرة المؤلف.

5. وضع لكل جزء من المخطوط فهرس خاصة به: لكل من الأعلام، والقبائل، والأماكن الجغرافية، وأسماء الكتب، بالإضافة إلى قائمة المصادر والمراجع.
6. ثم انتقل المحقق بعد ذلك تحت عنوان: "تمهيد في التعريف بمخطوط طلوع سعد السعود في أخبار وهران ومخزنها الأسود للأغا بن عودة المزاري"، إلى التعريف المقتضب بالمؤلف، ثم بالمخطوط، من ناحية عدد صفحاته (582)، وقياسه (25x19)، وأسطره (بين 18 و30)، ونوع الخط الذي كُتب به (المغربي)¹⁵.
7. تحدث هل المخطوط من تأليف المزاري أم لا؟ واستغرق منه ذلك ما بين صفحتي 13 و48¹⁶.
8. ومن الوقفات المهمة، حديثه عن أن المخطوط المؤلف من 582 صفحة، بُرث منه ثماني صفحات (08) من رقم 538 إلى 545، ويرى المحقق أن ذلك تمَّ عن قصدٍ، وهي الصفحات التي تحدث فيها المؤلف عن نفسه، موقفه من
- الأمير عبد القادر والمقاومة الوطنية (انضم المؤلف كأغا لدى الأمير أولاً، ثم عند الفرنسيين في حدود ديسمبر 1835)¹⁷
9. يشير إلى رقم المخطوط (466) المتواجد بمكتبة متحف زبانا بمدينة وهران¹⁸.
10. يعود تاريخ تأليف المخطوط إلى نهاية عقد الثمانينيات وبداية عقد التسعينيات من القرن 19، ويتكون من خمسة أقسام - كل قسم يحمل اسم مقصد - هي:
- المقصد الأول: فيمن بنى وهران، وفيمن أمر ببنائها، وأي تاريخ بُنيَتْ فيه (من ص 4 إلى 11).
- المقصد الثاني: في ذكر بعض أوليائها والتعريف بهم (من ص 11 إلى 30).
- المقصد الثالث: في ذكر بعض علمائها والتعريف بهم (من ص 30 إلى 38).
- المقصد الرابع: في ذكر الدول التي حكمتها، وهي تسع (من ص 38 إلى 523).
- المقصد الخامس: في ذكر مخزنها (من ص 523 إلى 582)¹⁹.

ويختتم المحقق يحيى بوعزيز حديثه عن المخطوط بملاحظات نقدية، بدأها بالمقاصد الخمسة التي لاحظ عليها كثرة الحشو الذي أخرج المخطوط في أحيان كثيرة عن موضوعه، وجعله يقع في الكثير من الأخطاء التاريخية، كما أن المؤلف يقول بأنه اعتمد على خمسين مؤلفاً، لكن أغلب نُقُوله من " كتب أبي راس الناصر المعسكري"²⁰، وكتاب "دليل الحيران وأنيس السهران" لشيخه "محمد بن يوسف الزياني" المتوفى حوالي سنة 1277هـ / 1861م²¹. ثم ساق بعد ذلك مجموعة من الأدلة التي جعلته يُجزم بأن كتاب "طلوع سعد السعود" ليس من تأليف محمد بن يوسف الزياني شيخ "الأغا بن عودة المزاري"، وهذا لأن:

- 1- الشائع في أوساط المتعلمين بمدينة وهران بأن كتاب طلوع سعد السعود في الحقيقة، هو عمل سي محمد بن يوسف الزياني الذي أرغم على التنازل عنه مقابل "وظيفة قاضي" حيث استُقبل من قبل عائلة المزاري.
- 2- ومن رأي هؤلاء المتعلمين، أن ابن عودة المزاري، رجل السيف والبارود (أي الحرب)، وليس رجل القلم والسجادة، ولا يقدر أن يؤلف كتاباً تاريخياً.
- 3- أن مخطوط "طلوع سعد السعود"، مقتبس ومنقول غالباً من مخطوط عن تاريخ وهران: "دليل الحيران وأنيس السهران"، وافترض البعض أن محمد بن يوسف الزياني أعطى اسماً جديداً لمؤلفه التاريخي، مما منح الفرصة للمزاري بأن يقول بأنه هو المؤلف للمخطوط: "طلوع سعد السعود".
- 4- إنَّ المقارن بين الكتابين "دليل الحيران وأنيس السهران" لصاحبه محمد بن يوسف الزياني، و"طلوع سعد السعود" للأغا بن عبدة المزاري، لا تدع مجالاً للشك بأن مخطوط "طلوع سعد السعود" إما أن يكون للزياني نفسه، أو أن يكون المزاري نقله حرفياً من كتاب دليل الحيران للزياني وتصرف فيه قليلاً، واستغل منصبه كأغا ليرغمه على السكوت، وقبول الأمر، وليس هناك تفسيراً آخر غير هذين الافتراضين²².

الخاتمة:

لا شك أن عمل التحقيق شاق ومرهق يتطلب الجهد والصبر والأنفة وهذا ما لامسناه ونحن نقرأ تحقيق الأستاذ يحيى بوعزيز رحمة الله عليه لمخطوط "طلوع سعد السعود"، حيث تبين لنا بوضوح كبير مدى حرصه الشديد على تحقيق المخطوط التاريخي الجزائري ونشره وفق منهج علمي قائم على مجموعة من القواعد والضوابط العلمية الدقيقة، كشرح المبهم من الكلام، وإثبات الاختلافات بين المخطوطات والنصوص، والاهتمام بالهوامش والتخريجات والتصحيحات، وصولاً إلى إثبات صحة نسبة المخطوط إلى صاحبه. ولعل هذا، جاء رغبةً منه في تيسير المادة الأولية للباحثين المحققين والطلبة المهتمين، من أجل قراءة تراثنا التاريخي الجزائري قراءةً علميةً صحيحةً.

إحالات البحث

- ¹ في فن تحقيق النصوص لأُمالي مصطفى جواد - مجلة المورد - المجلد 6 - العدد 1 - 1977 - ص 119.
- ² تحقيق النصوص وشرحها لعبد السلام محمد هارون - القاهرة - مكتبة الخانجي - ط 7 - 1998 - ص 42.
- ³ المنهاج في تأليف بحوث وتحقيق المخطوطات لمحمد التونجي - بيروت - عالم الكتب - د.ط - د.ت - ص 172.
- ⁴ ينظر: مناهج تحقيق التراث والمخطوطات العربية لحسان حلاق - بيروت - دار النهضة العربية - ط 1 - 2004 - ص 146.
- ⁵ ينظر: المرجع نفسه - ص 147 و 148.
- ⁶ ينظر: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19م للأغا بن عودة المزاري - تحقيق يحيى بوعزيز - بيروت - دار الغرب الإسلامي - ط 1 - 1990 - ج 1 - ص 5.
- ⁷ المصدر نفسه - ص أ.
- ⁸ ينظر: المصدر نفسه - ص 8 و 13.
- ⁹ ينظر: المصدر نفسه - ص 5.
- ¹⁰ ينظر: المصدر نفسه - ص 5.
- ¹¹ ينظر: المصدر نفسه - ص 174.
- ¹² ينظر: المصدر نفسه - ص 115.
- ¹³ ينظر: المصدر نفسه - ص 129.
- ¹⁴ ينظر: المصدر نفسه - ص 206.
- ¹⁵ ينظر: المصدر نفسه - ص 13.
- ¹⁶ ينظر: المصدر نفسه - ص 38 و 39.
- ¹⁷ ينظر: المصدر نفسه - ص 13.
- ¹⁸ ينظر: المصدر نفسه - ص 14.

¹⁹ ينظر: المصدر نفسه - ص 15.

²⁰ هو الحافظ محمد أبو راس بن أحمد بن ناصر الراشدي المعسكري الجزائري، علامة ومحقق في العلوم الإسلامية وحافظ للحديث النبوي من الجزائر. وُلد بنواحي مدينة معسكر بالجزائر يوم 8 صفر 1165هـ/ 27 ديسمبر 1751م، وتوفي يوم 15 شعبان 1238هـ/ 27 أبريل 1823م، ودُفن بمعسكر. وكان قد شارك في الجهاد لفتح مدينة وهران سنة 1206هـ/ 1795م، إلى جنب الباي محمد بن عثمان. له إسهامات كثيرة في علوم الحديث والقرآن والأنساب وله مؤلفات عدة في هذا المجال. يعتبر ثاني كبار رجالات معسكر بعد الأمير عبد القادر.

²¹ ينظر: المصدر السابق - ص 34.

²² ينظر: المصدر نفسه - ص 44.

مصادر البحث ومراجعته

1. طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19م للأغا بن عودة المزاوي - تحقيق الدكتور يحيى بوعزيز - بيروت - دار الغرب الإسلامي - ط 1 - 1990 - ج 1.
2. تحقيق النصوص وشرحها لعبد السلام محمد هارون - القاهرة - مكتبة الخانجي - ط 7 - 1998.
3. في فن تحقيق النصوص لأُمالي مصطفى جواد - مجلة المورد - المجلد 6 - العدد 1 - 1977.
4. مناهج تحقيق التراث والمخطوطات العربية لحسان حلاق - بيروت - دار النهضة العربية - ط 1 - 2004.
5. المنهاج في تأليف بحوث وتحقيق المخطوطات لمحمد التونجي - بيروت - عالم الكتب - د.ط - د.ت.